PP-585-593
P-ISSN: 2716-8093 E-ISSN: 2716-8212

الفعل المضمر في قصيدة "أبا المنقوش" للشّاعر محمّد العيد آل خليفة – مقاربة تداولية–

The implicit act in the poem "Abu al-Mangouch" by the poet Muhammad al-Eid Al Khalifa - Pragmatics Approach -

مشتة مهدي[1]
Mechta Mehdi
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1(الجزائر)
mahdi.mechta@umc.edu.dz

دحماني عبد الرحمن[2]
Dahmani Abdrahmane
جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)
dahmani28abdrahmane@gmail.com

-**تاريخ الاستلام**: 2024/04/18 -**تاريخ القبول**: 2024/06/02 -**تاريخ النشر**: 2024/06/ 06/30

الملخص :

تدرس التداولية اللغة في الاستعمال بوصفها ظاهرة تخاطبية تواصلية اجتماعية، وهي علم قائم بذاته تحتوي على مباحث وقضايا، تشتغل على الكشف عمّا أضمر من الخطاب، وليس الخطاب الشعري بمنأى عن ذلك .

لذلك فنحن نسعى في هذا المقال إلى مقاربة تداولية في قصيدة "أبا المنقوش" للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة بمحاولة تتبع الأفعال المضمرة فيها في حدود ما يتسع له المقام، فأتينا من مقاربة هذه الأفعال على المضمر الذي انطوى عليه كل من النداء والاستفهام والأمر، في القصيدة على الترتيب: ثم أتينا على مقاربة لون آخر من المضمر، وهو "المقتضى" ووطأنا لعملنا الإجرائي بمفهوم الاقتضاء وعلاقته بفعل القول المنطوي على القصد. وأوضحنا أن المقتضى مقصود بالتتبع، وأنهينا المقال بخلاصة أوجزنا فيها النتائج التي توصلنا إليها.

كلمات مفتاحية: الفعل المضمر، مقاربة، قصيدة، التداولية،محمد العيد آل خليفة.

Abstract

Pragmatics studies language in use as a communicative social phenomenon which is a science in its own right that contains investigations and issues, working to reveal what is more harmful than the discourse, not poetic discourse spared from that. Therefore, in this article In this article, we aim to approach a pragmatic analysis of the poem "Abu Al-Munqush" by the Algerian poet Mohammed Al-Eid Al-Khalifa, attempting to trace the implied actions within it as much as the context allows. We have approached these actions through the implied meaning encompassed by each of the call, the question, and the command in the poem,respectively.

Then, we approached another type of implication, "the requisite," and we grounded our procedural work on the concept of requisiteness and its relation to the speech act that involves intention. We clarified that the requisite is intended for tracking, and we concluded the article with a summary in which we briefly presented the results we reached.

Keywords:The implicit act, the poem, Approach Pragmatics, Muhammad al-Eid Al Khalifa

المؤلف المرسل: مشتة مهدي/ دحماني عبد الرحمن **الإيميل:** mahdi.mechta@umc.edu.dz

مقدمة:

واضح أنّ المنهج التّداولي لا ينفكّ عن الخطاب أيّا كان نوعه، يوجد بوجوده وينعدم بانعدامه. ويكفي للوقوف هذه الصّلة النّظر في مفهوم كلّ منهما.

أمّا التّداوليّة فقد عرّفها بعضهم بأنّها دراسة «اللّغة بوصفها علما تخاطبيّا تواصليّا يُعنى بالأبعاد الخطابيّة الاستعماليّة للّغة». (إسماعيل، 2011: 32)

فالمدار فيها على أداء وظيفة التّواصل التي هي الوظيفة الأساسيّة للّغة ويحتاج مستعمل اللّغة مخاطبا كان أو مؤوّلا إلى الكفاءة التّداولية، التي تستند إلى جملة من الكفاءات. (المتوكل، 2013: 28،29)

وأمّا الخطاب فشأنه شأن التّداولية من حيث تعدّد مفاهيمه، وعدم الاتّفاق على مفهوم قارّ لا يعدوه، ومن مفاهيمه ما أورده المتوكّل إذ قال: «يعدّ خطابا كل ملفوظ/مكتوب يشكّل وحدة تواصلية قائمة الذات» (المتوكل، 2010: 24)

واللافت في هذا التّعريف –كما أشار إلى ذلك المتوكل نفسه- أن المعتبر في الخطاب هو الوظيفة التي هي التّواصل لا الحجم، وعلى هذا فقد ينزل الخطاب إلى حدّه الأدنى الّذي هو الفعل الخطابي، وهو أصغر وحدة تواصلية. ويعرف بأنه « وحدة دنيا في الخطاب موضوعَ التّحليل اللّغوي يتكوّن من قوّة إنجازيه (خبر، استفهام، أمر، ...) ومؤشّري المتكلم والمخاطب وفحوى خطابي ومُخصّص» (مليطان، 2014: 108)

والفعل الخطابيّ بهذا المعنى يؤدّي وظيفة الفعل الكلامي، وإن شئنا قلنا هو الفعل الكلامي نفسه، وقد يتّسع الخطاب لسلسلة من الأفعال المتواشجة فيما بينها لتفضي في النهاية إلى الفعل الأكبر الذي هو الخطاب برمّته في كُلّيته وشموليّته. (قنيني، 2000: 309 وما بعدها)

والنّاظر في مفهوم التّداولية من جهة، والخطاب من جهة ثانية، يتبيّن له في وضوح العلاقة بينهما. من ذلك كون الخطاب مفهوم تداولي، وأنّه موضوع للوصف. ولولاه لما كان ثمة داع لظهور هذا المنهج .

والأصل في الكلام الإظهار لا الإضمار، إذ لا يجوز العدول باللّفظ عن ظاهره إذا أمكن حمله على ذلك الظّاهر، والمدار في كلّ من التّصريح والإضمار على الفائدة المتوخاة في الكلام أو الخطاب، إذ الأصل في الكلام أن يوضع لفائدة. (حسان، 1982: 214-217)

والمضمر أنواع، والذي يعنينا منها - فيما نحن فيه- المضمر الذي يرتفع إلى مستوى الفعل الخطابي في حدّه الأدنى، أي باعتباره وحدة تواصليّة قائمة الذّات. وهذه الوحدة التواصلية عند التّداوليّين بمنزلة الكلام عند العرب، وإن شئنا قلنا هي الكلام نفسه، على اعتبار أنّ الكلام عندهم هو «اللّفظ المفيد فائدة يحسن السّكوت عليها». (المصري، 1964: 14)

فبإدراك القصد يحصل التّواصل، ومن ثمّ يحسن السّكوت. وربما كان أيسر ما يعرف به الإضمار أن يقال: إنّه الدّلالة التي يقصد إليها المتكلّم قصدا، والحاصلة من العدول باللفظ عن ظاهره، بدليل يدلّ على المضمر ويرشد إليه. (الرحمان، 2006: 152،151)

والفائدة فائدتان: فائدة يتوخّاها المتكلّم في كلامه ويقصد إليها قصدا ابتداء، وفائدة هي شرط في حصول تلك الفائدة المتوخاة كما في الاقتضاء. (الرحمان، 2006: 108،110)

وموضوع البحث - كائنا ما كان- لا يخلو من باعث يبعث عليه، والباعث على الموضوع الذي نحن بصدده متأتّ من الإشكال الذي يطرحه؛ ذلك أن التداولية نشأت في أحضان فلسفة اللغة العادية . (إسماعيل، 2011: 17)

وإذا كان الأمر كذلك فإلى أيّ مدى يفلح المنهج التداولي في مقاربة الخطاب الشعري من الجهة التي ألزمنا أنفسنا بها؟.

ذلك أن الخطاب الشّعري غامض بطبعه غموض التّجربة المعبّر عنها، وإنّما تأتّى غموض التجربة من أنّ الشّاعر الحقّ لا يعبّر عن أفكار أو حقائق ثابتة، وإنّما يعبّرعن تجربة تختلط فيها الذّات بالموضوع، والعقل بالعاطفة، والمحسوس بالمجرّد، والشّعور باللّاشعور. (الحاوي،دت: 519،520)

ولا عجب أن ينتقل هذا الغموض إلى اللّغة التي هي وسيط بين الموضوع والذّات المدرِكة «لقد ظهر أن الأشياء لا تعطى للمعرفة في شكل مباشر؛ بل إنّها تتوسّط باللّغة» (ناصر، 16:2007)

ومن هذا الغموض الذي يكتنف الخطاب الشّعري، يستمدّ المنهج التّداولي مشروعيّة مقاربته الخطابَ الشعريَّ. وتتأكّد هذه المشروعيّة عندما يتعلّق الأمر بمقاربة الخطاب الشّعري من جهة الوحدات المضمرة.

أوردنا من قبل أنّ الخطاب برمّته في حدوده القصوى التي يمكن أن يمتدّ إليها حجما، هو فعل أكبر كلّي شامل، ينطوي على أفعال، هي وحدات دنيا في الخطاب، منها الظاهر الذي يستفاد من مجرد اللفظ أو البنية اللغوية للخطاب فحسب، والذي من شأنه أن توافق دلالته الحرفية قصد
المتكلم. (ناصر، 2007: 205،207)

ومنها المضمر الذي لا يستفاد من مجرّد اللفظ أو البنية اللّغوية للقول، وإنّما يحتاج المؤوِّل للوقوف عليه إلى وسائط، هي رهن جملة من الكفاءات، تنهض على الكفاءة اللّسانية ذاتها.

ونحن هنا معنيون بمقاربة قصيدة **"أبا المنقوش"** للشّاعر محمد العيد آل خليفة من جهة الأفعال المضمرة (غير المباشرة) التي انطوت عليها هذه القصيدة، ومطلعها:

أَبَا اَلْمَنْقُوشِ هَلْ تَدْرِي بِحَالِي * * * فَأَنْتَ اَلْيَوْمَ جَارِي فِي اَلْجِبَالِ (خليفة، دت: 425)

وكان الشاعر قد نظم قصيدته هذه تحت العنوان المذكور "أبا المنقوش" في إقامته الإجبارية ببسكرة أثناء الثّورة التّحريرية، والعنوان "أبا المنقوش" مأخوذ من صدر البيت الأول: أبا المنقوش هل تدري بحالي ؛ من باب تسمية الكلّ باسم الجزء، وهو مجاز معروف، وسنتناول الأفعال المضمرة كما هي مرتّبة في القصيدة.

2. الإجراء التّحليلي لقصيدة "أبا المنقوش":

1.2 النّداء :

وهو طلب المتكلّم من مخاطبه الإقبالَ، بحرف ناب مناب أدعو لفظا أو تقديرا ،ليس شرطا في الإقبال أن يكون حسيّا فقد يكون معنويّا، وله أحرف يُتوصَّل بها إليه وهي: يا، أيا، هيا، الهمزة أي، آ، وا. (الدسوقي، 2013: 514)

والأصل في النداء- كما يؤخذ من التعريف- طلب الإقبال، إقبالِ المخاطب على المتكلم. غير أنّ المتكلّم كثيرا ما يحتاج إلى أن يعدل عن هذا الأصل إلى أغراض أخرى يرشد إليها السياق، ومن صوره قوله في مطلع القصيدة :

أَبَا اَلْمَنْقُوشِ هَلْ تَدْرِي بِحَالِي * * * فَأَنْتَ اَلْيَوْمَ جَارِي فِي اَلْجِبَالِ(خليفة، دت: 425)

عرفنا من قبل أن النداء دعوة للإقبال. وهذا على حقيقته لا يصح من مخاطَب غير عاقل كما هي الحال في قول الشاعر "أبا المنقوش"، ما لم يكن ذلك على سبيل التجوُّز الذي مفاده بلاغيا إنزال غير العاقل منزلة العاقل، على ما هو معروف لدى الشّعراء في نداء غير العاقل، ومن ثم تعيَّن صرف النداء إلى غير ما وضع له حقيقة.

وقد صُرف النداء في هذا البيت إلى فعل الشكوى، شكوى الشاعر ممَّا ألمّ به من همّ وغمّ، في
إقامته الإجبارية تلك. والشكوى فعل تعبيري. بحكم أن الشاعر يعبر عما انْطَمَر في نفسه من
الهموم.

والباعث على الشكوى - في تقديرنا- متأتٍّ من شعور الشاعر بالضعف، والافتقار إلى ما

يمكن أن يتقوَّى به على عوادي الأيام والليالي، وما حاق به من البلاء.

والمعتاد لدى الشعراء أنّهم كلّما حزَّ بهم الأمر لجأوا إلى مخاطبة غير العاقل، من مكان، أو جبل، أو حجر، أو شجر، لدفع المُلِمّ؛ يفعلون ذلك عند انقطاع الرجاء في العاقل إما لعجز، أو مانع من الموانع، وإمّا لأنه لا يُرجَى انتصاره، ولو كان قادرا على ذلك لسبب من الأسباب التي عادة ما تكون بين العقلاء، فتحول دون انتصار بعضهم لبعض.

ومن هنا ساغ للشاعر أن يناجي أبا المنقوش، كما ناجت الخنساء من قبل الديك في قولها:

أَلَا أَيُّهَا اَلدِّيكُ اَلْمُنَادِي بِسَحَرَةٍ * * * هَلُمَّ كَذَا أَخْبَرَكَ مَا قَدْ بَدَأَ لِيَا

بَدَا لِي أَنِّي قَدْ رِزْئْتُ بِفَتِيَّةٍ * * * بَقِيَّةُ قَوْمٍ أُوَرَّثُونِي اَلْمَبَاكْيَا (الخنساء، 1969: 145)

ومن قرأ شعر محمد العيد، تبين له أنه كثيرا ما يستثمر- في إنجاز ما ينجز من الأفعال- ثقافته الإسلامية، فهو في هذه الظروف يستدعي شخصية نبيّ الله يونسَ عليه السلام في قوله:

فَعَشتُ بِهِ كَيُونُسَ فِي سَقَامٍ * * * لَدَى قَوْمِيّ وَلَكِنْ فِي اِنْعِزَالِ (خليفة، دت: 425)

لما بينه وبين يونس عليه السلام من الشبه. فقد اشتركا في الابتلاء.

فأمَّا يونس عليه السلام، فقد حمله قومُه على الخروج، فخرج مغاضِبا، كما نطق القرآن بذلك ﴿**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا**﴾.**[الأنبياء: 87]**.

وأنه ابتُلِي بالاقتراع في السفينة، ثم ألقي في اليمّ فالتقمه الحوت، ﴿ **وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ** (139) **إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ(141)** ﴾. **[الصافات: 139 - 142].**

وإنه لذلك، ناله ما ناله من الغم ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ونَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ**﴾. **[الأنبياء: 88]**، ووُصِف بأنّه مليم ﴿**فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾ **[الصافات: 142]**، والمليم من «ألام إذا أتى بما يلام عليه فالمليم المستحق للّوم الآتي بما يلام عليه» (الرازي، دت:165)،وأنه منبوذ بالعراء، وأنّه سقيم ﴿فَنَبَذْنَاهُ بالعَرَآءِ وَهُوَ سَقيمٌ﴾ **[الصافات: 145]**.

وأمّا الشّاعر محمد العيد فقد ابتلي بالإقامة الإجباريّة، وأنّ أمواج دهره قد ألقت به حول سفح أبي المنقوش أسيرا بعد أحداث طوال، كما ألقي بيونس عليه السلام من السفينة ليلتقمه الحوت وهو مليم، وأنه لذلك، فهو سقيم سقَم يونس، وقد ألقت به السمكة إلى العراء «كالفرخ المنتوف لا شعر له ولا لحم»(الرازي، دت:212)؛ وإذن فقد أحسن الشاعر التَّمثُّل، ومن ثم فقد أدّى استثماره لشخصية

نبي الله يونس عليه السلام وظيفته كاملة في إنجاز الفعل التعبيري الذي ذكرنا.

ثم يُكمل قائلا:

أَبَا اَلْمَنْقُوشِ خَبِّرَنِي فَإِنِّي * * * أَحَبَّ شِفَاهَ مِثْلِكَ بِالسُّؤَالِ(خليفة، دت: 425)

علينا ابتداء أن ندرك أن فعل النداء يأتلف من جملة النداء "أبا المنقوش"، وجواب النداء "خبرني"، وجملة النداء "أبا المنقوش" لا تفيد أكثر من دعوة المتكلم مُخاطَبَه ليقبل عليه، وهذه الدلالة ثابتة لا تتغير، والمتغير هو الجواب الذي هو هنا "خبرني"، ولا معنى للنداء بمعزل عن الجواب.

والشاعر إذْ يخاطب أبا المنقوش، لا ينتظر منه أن يخبره بجديد لا يَعلمه، كما قد يُوهِمنا بذلك قوله "خبّرني"، لعلم الشاعر بذلك.

وهو يُنزِل "أبا المنقوش" في خطابه منزلةَ العاقل، لأسباب نفسية، يدل عليها المقام، وعليه تَعيَّن حَمْلُ الفعل المُنجَز بالنداء في البيت على الاستبطاء، استبطاءِ المرجوِّ الذي هو فكّ القيود على الشاعر وشعبه، واستبطاءُ الشّاعر ساعةَ النصر متأتٍّ من المعاناة والتّبرّم بالواقع، واقع الشاعر في محبسه الذي لا يختلف في كثير عن واقع شعبه.

وبهذا يكون الشّاعر قد أنجز فعلا تعبيريًّا إلى جانب فعل الاستبطاء؛ بل إن الاستبطاء فيه من التعبيريّة نصيبٌ، على اعتبار أنّ الباعث عليه نفسي كما ذكرنا، إذْ ما كان لاستبطاءِ الشّاعر من معنى لولا المعاناة، وحال الشّاعر هذه تُعيد إلى أذهاننا حالَ امرئ القيس وقد استطال ليله، وما كان له أن يستطيله لولا أنه ابتلاه بأنواع الهموم كما قال:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ اَلْبَحْرُ أَرْخَى سُدُولَهُ * * * عَلِي بِأَنْوَاعِ اَلْهُمُومِ لِيُبْتَلَى

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّاتَمَطَّى بِصُلْبِــهِ * * * وَأَرْدَفَ إِعْجَــازًا وَنَاءٍ بَكْلَكَلِ

أَلَا أَيُّهَا اَللَّيْلُ اَلطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلِ * * * بِصُبْحٍ وَمَا اَلْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فَيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ * * * بَأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صَمِّ جَنْدَلِ (القيس، دت:48-49)

والهموم التي حملت امرأ القيس على استطالة ليله حتى لكأن نجومه شدت بأمراس كتان إلى صمّ جندل؛ وإذن فلا عجب أن يستبطئ الشاعر محمد العيد ساعة النصر، وقد أثقلته هموم الأسر وهموم الوطن.

2.2 الإستفهام:

وهو من الإنشاء الطلبي الذي يطلب به مطلوب غير حاصل وقت الطلب ، ويُعرَّف بأنَّه «طلب حصول صورة الشيء في الذهن» (الدسوقي، 2013: 82)، ويتحقّق بأدوات معيّنة وهي:

الهمزة وهل وما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنّى ومتى وأيّان ، وما يُطلَب حصولُ صورته لا يَعْدُو أن يكون تصوُّرا أو تصديقا، والتّصديق الذي يُسمّى كذلك حكما وإسنادا وإيقاعا وانتزاعا وإيجابا وسلبا هو إدراك مطابقة النّسبة الكلاميّة للواقع أو عدم مطابقتها. (الدسوقي، 2013: 414)

أمّا استفهام التّصوّر لا يستهدف إدراك صورة المُسْتَفْهَمْ عنه، من حيث مجرّد وقوع النسبة أو لا وقوعها، كما رأينا في التصديق، ولكنه يستهدف إدراك تلك الصورة من حيث هي موضوع، أو محمول، أو نسبة مجردة، أو اثنتين من هذه الثلاثة، أو الثلاثة، وذلك لأن المستفهِم في مثل هذه الحال متردد بين شيئين، فهو يطلب تعيين أحدهما. (الدسوقي، 2013: 83)

قد ينصرف الاستفهام عن معانيه الدلالية، التي هي لها بأصل الوضع إلى معانٍ تداولية، يرشد إليها السياق،ومن هذه المعاني التداولية التي كثيرا ما يقصد إليها المتكلم قصدا: الاستبطاء، التعجب، التنبيه على الضلال، التقرير، الإنكار، التوبيخ، التكذيب، السخرية، التهويل، الاستبعاد، التعظيم، التسهيل، التحقير، الاستئناس. (الدسوقي، 2013: 464)

والحقُّ أن الأفعال المُضْمَرَة التي يُصْرَف إليها الاستفهام، تصعب الإحاطة بها، والحكمُ فيها متروك إلى السياق ومقاصد المتكلمين، وعلى المؤوِّل الذي يروم الاهتداءَ إليها في الكلام أن يُعوّل على كفاءته التأويلية التي هي حصيلة جملة من الكفاءات. (إسماعيل، 2011: 216).

ومن صور المضمر في الاستفهام قوله في القصيدة :

مَتَى يَأْتِي بِرَبِّكَ نَصْرَ شَعْبٍ * * * يُقَاسِي كُلُّ أَلْوَانِ اَلنَّكَالِ(خليفة، دت: 426)

فالشاعر يسأل عن اليوم الذي تُفَكُّ فيه قيود شعبه. لكنه سؤال المستبطئ لا المستفهم، فهو استفهام مصروف عن حقيقته إلى الاستبطاء، ذلك أن الشاعر يستبطئ ساعةَ النصر وفكِّ القيود لاستطالة الأيام والليالي، وشدة وطأتها عليه وعلى شعبه، ولا عجب أن تطول أيام وليالي القهر والإذلال، وصدق أبو فراس إذ قال:

تَطُولَ بِي اَلسَّاعَاتُ وَهْيَ قَصِيرَةٌ * * * وَفِي كُلِّ دَهْرٍ لَا يَسُرُّكَ طُولٌ(خالويه، 1979: 232)

فإذا كانت ساعات أبي فراس قد طالت لِمَا هو فيه من قيود الأسر، مع أنها قصيرة في واقع دنيا الناس المتعارف عليها، فكيف تكون ساعات صاحب الهمّ من أمثال شاعرنا، وقد طال أمَدُ القهر والإذلال عليه وعلى شعبه كما قال:

مَضَتْ حِجَجٌ لَهُ خَمْسٌ شَدَّادٌ * * * وَمَوْطِنُهُ بِنَارِ اَلْحَرْبِ صَالِ(خليفة، دت: 426)

ولولا سوء الحال هذه، لَمَا كان لاستبطاءِ الشاعر ساعةَ النصرِ من مسوّغ، وعليه فالشاعر ينجز، كما أسلفنا، فعلَ الاستبطاءِ، الذي يقوم على تعبيريَّة، طافيةٍ على سطح بنيةِ البيتِ اللغوية.

أما في قوله :

أَكُلُّ عُصُورِهِ أَمَدُ اضْطِهَادٍ؟! * وكُلُّ عُهُودِه أَمَدُ احْتِلَالِ**(خليفة، دت: 426)

فالاستفهام في البيت محمول على التعجب الإنكاري، والتعجب حالة نفسية تعتري صاحبها لحائل يحول دون معرفة السبب الذي من أجله بدا الأمر مستغربا، والمستغرَب الذي لم يجد له الشاعر سببا مقنِعا، أن يظلّ الشعب الجزائري يَرسُف في أغلال الاستعباد، فالإنكار منصبٌّ على استعباد المحتل الغاشم، واضطهاده لهذا الشعب، لأمَدٍ ليس بالقصير. على أن همزة الاستفهام في قوله **"وكلُّ عهوده...؟!"** أُضمِرَت اجتزاءً عنها بذكرها من قبل في قوله: " **أكل عصوره؟!".**

وإذن فلا عجب أن يثور الشعب على هذا الواقع، الذي حُمِلَ عليه حَمْلاً ظلما وعدوانا:

لَقَدْ بَذَلَ الفِدَى ثَمَنًا وَضَحَّى * بِكُلِّ دَمٍ عَزِيزٍ مِنْهُ غَالِي**(خليفة، دت: 426)

ليقينه أن الحياة تُؤخَذ ولا تُعطَى، وأن للحرية ثمناً، هو ليس أقلّ من أن تُبذَل فيه المُهَجُ بسخاء.

وأما في قوله:

فَهَلْ آنَ الأَوَانُ لَهُ لِيَحْظَى * بِمَا يَرْجُو المُجَاهِدُ مِنْ مَنَالِ**(خليفة، دت: 426)

يكفي أن نحتكم إلى السياق العام واعتبار ما قبل البيت وما بعده والحالة النفسية للشاعر في مثل هذه الظروف، لندرك أن الشاعر ينجز بالاستفهام "فعل الرجاء والتفاؤل بالمرجوّ"، ويُرجِّح لدينا هذا التأويلَ مدلولُ كلٍّ من "الرجاء" و"التفاؤل"، جاء في معجم متن اللغة « رجا: رجوا ورجوا ورجاء...: ضد يئس: طمع في حصول ما فيه مسرة » (رضا،1958: 595)

وأقصى ما يرجوه الشاعر أن تُفكّ قيودُ شعبه ويسترجع سيادته على أرضه، والشاعر محمد العيد نشأ في حضن الحركة الإصلاحية نشأة إسلامية، فأشرِبَ حبّ الإسلام وتمثّل تعاليمه سبيلا في حياته، واستحكمت في نفسه ثقته بالله، فاعتقد اعتقادا جازما أن وعد الله حق، وأنه ناصر المستضعَفين الآخذين بأسباب النصر، ولو بعد حين.

3.2 الأمر:

من الإنشاء الطلبي الذي يُطلب به مطلوبٌ غير حاصل وقت الطلب، وعرّف بأنه « طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء»(الدسوقي، 2013: 91)، ويضيف الدسوقي لهذا التعريف الجار والمجرور "بالقول" قائلا: «وهذا تعريف للأمر النفسي وليس الكلام فيه، لأن الكلام في أنواع الطلب اللفظي فلو قال: طلب فعل بالقول كان أولى »(الدسوقي، 2013: 484)، وعرّفه بعضهم بقوله: « الأمر استدعاء الفعل بالقول على وجه الاستعلاء»، والتعريفان يشتركان في أن الأمر طلب بالقول، وفي شرط الاستعلاء، والمقصود بالاستعلاء «كون الأمر على وجه الغلظة والترفع والقهر». (الشنقيطي، دت : 187)

والأمر يحصل بصيغ أربع وهي: صيغة فعل الأمر، المضارع المقترن بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعله ، وكثيرا ما يستعمل الأمر في غير ما وضع له بقرينة تمنع من إرادة معنى الأمر، وهذا الذي يصرف إليه الأمر يسمى عند التداوليين "المضمر".

ومما يصرف إليه الأمر: الإباحة، التخيير، التهديد، التعجيز، التسخير، الإهانة، الإيجاد، التحقير، التسوية، التمني، الدعاء، الالتماس. (الدسوقي، 2013: 489)

والمعوَّلُ عليه في الوقوف على هذه الأفعال المُضمرة أو غيرها مما يصعب استقصاء القول فيه هو السياق وقرائن الأحوال، وهذا الذي سنسلكه في مقاربتنا للمضمرات التي صُرِف إليها الأمر ومنها قوله:

أَبَا المَنْقُوشِ خَبِّرنِي فَإِنِّي * أُحِبُّ شِفاهَ مِثْلِكَ بِالسُّؤَالِ**(خليفة، دت: 425)

وما قيل في الفعل المنجز بالنداء في هذا البيت، يقال في الفعل المنجز بالأمر، لأن جملة الأمر "خبرني" جزء لا يتجزأ من النداء في عمومه، وهو ما يعني أن جملة النداء "أبا المنقوش" تستمد أهميتها من جملة الجواب، في حين أن مقاربة البيت من جهة جملة الأمر "خبّرني" تقتضي أن نتعامل معها على أنها مستقلة عما قبلها. لكنها - على استقلاليتها - يبقى الفعل المنجز بها هو فعل الاستبطاء، الذي أفضى إليه الفعل التعبيري على النحو الذي أوضحنا من قبل.

أما في قوله :

تَرَقَّبْ خَيْرَ مَوْلُودٍ جَدِيدٍ * بِمَوْلِدِهِ تَمَخَّضَت اللَّيَالِي**

فَهَلْ آنَ اَلْأَوَانُ لَهُ لِيَحْظَى * * * بِمَا يَرْجُو اَلْمُجَاهِدُ مِنْ مَنَالِ

فَقَالَ أَجَلْ سَيَلْقَى اَلشَّعْبُ عِزًّا * * * وَيَرْقَى بَالفِدَى رَتَبَ اَلْجَلَالِ

مَعَاذَ اَللَّهِ أَنْ يَشْقَى وَيَبْقَى * * * رَهِين اَلذُّلِّ يُوطَأُ بِالنِّعَالِ(خليفة، دت: 425) في هذه الأبيات

يتنبّأ الشاعر بمولود مرتقب ، يكون بعد رجاء صبر إنه النصر الذي هو آتٍ لا محالة،نصر يرد كرامة مسلوبة و يُلقى من خلاله عزا يحرره من وطأة الذل والهوان، وهو ما أكده فعل الأمر "ترقّبْ" المصروف إلى التبشير بالمولود الجديد، الذي تمخَّضت بمولده الليالي كما قال.

وهذا المولود الجديد هو يوم النصر- كما ذكرنا سابقا- .

ومن صيغ المضمر الأمريّة في هذه القصيدة قوله :

وقلْ لِابنِ الجزائرِ كُنْ صَمُودًا * فنصرُ اللهِ لِلْبأساء تالي**

تَحَدَّ الأقوياءَ بكلِّ صبرٍ* وَوَالِ الاحتجاجَ ولا تُبالِ**(خليفة، دت: 425)

فالأمر "قلْ" و"تحدّ" في البيتين مصروف عن حقيقته إلى النصح والإرشاد، ذلك أنّ الشعب الجزائري في تلك الظروف القاهرة، كان أحوج ما يكون إلى مَن يشدُّ على يده بكلمة تُثبّته على درب النضال، والشاعر محمد العيد على ثقة من أن لِلكلمة الصادقة أثرَها في إجلاء الحقيقة وشحذ العزائم والهمم، وجمع الطاقات المبدَّدَة وتوجيهها الوجهة الصحيحة في الحياة.

4.2 الاقتضاء:

والاقتضاء هو «استلزام القول لمعنى تابع للمعنى العباري من غير توسُّط دليل ومع توقف فائدة القول عليه » (الرحمان، 2006: 108) ،والمقصود بالقول ما يُعرَف عند التداوليين بـ"فعل القول"، والمعنى العباري هو دلالة فعل القول الحرفية، والمعنى التابع هو "المُقتضَى" الذي هو شرط تتوقّفُ عليه صحة القول وفائدته. فالقول " تصدّقْ عنّي بزرعِكَ بألفِ درهمٍ " لا فائدة منه إلا بتقدير المُقتضَى المضمر، والذي هو شرط لابد منه في صِحَّة القول.

والمُقتضَى في المثال المذكور، هو كونُ الزرعِ في مُلكية المتكلم. ومعنى ذلك، أن الزرع انتقل بمُقتضَى البيعِ من ملكية المخاطب إلى ملكية المتكلم، ولولا أن الزرع أصبح في ملكية المتكلم، لكان طلبُ المتكلمِ من المخاطب أن يتصدق عنه طلباً لاغياً، لا قيمة له. (الرحمان، 2006: 111،109)

استنادا إلى هذا الذي ذكرنا، نحاول أن نقارب قول الشاعر:

أَبَا اَلْمَنْقُوشِ هَلْ تَدْرِي بِحَالِي * * * فَأَنْتَ اَلْيَوْمَ جَارِي فِي اَلْجِبَالِ(خليفة، دت: 425)

اقتضائيا على هذا النحو:

إن مخاطبة الشاعرِ "أبا المنقوش" تقتضي أمرين:

الأول: كونُ الشاعرِ لم يكن في وُسْعِه مخاطبةَ العاقلِ لِمانع حال دون ذلك:

رماني حولَ سَفْحِك مَوجُ دهري * أَسيرا بعد أحداثٍ طوال**

فعشتُ به كيونسَ في سقام * لدى قومي ولكنْ في انعزال**
أرى الأَحياءَ من حولي قريبا * وهُمْ بالعيش عنّي في اشتغال**
وأعذِرُهُمْ فعَيْنُ الخصمِ يَقظَى * ترى شَزْرًا وتنذر بالوَبال**(خليفة، دت: 425)

ومضمون هذه الأبيات هو "المُقتضَى"، الذي هو شرط في صحة ما خاطب به الشاعر "أبا المنقوش"، ولولا ذاك لكان الأولى به أن يخاطب العقلاءَ ممن يَعنيهم الأمرُ، لو أمكن ذلك.

الثاني: إحساس الشاعر بقصورِ توجيهِ الخطابِ إلى العاقل –على تقدير أن ذلك ممكن- عن استيعاب الحالةِ النفسية للشاعر، والانتقال بها من حالة الوجود بالقوة إلى حالة الوجود بالفعل، أي أن أزمة الشاعر النفسية هي التي اقتضت هذا الانزياح في التعبير.

وإذن، فقصورُ مخاطبةِ العاقلِ عن استيعاب الحالة النفسية، هو "المُقتضَى" الذي لولاه لما صحَّ توجيه الخطاب إلى أبي المنقوش، ولما حصلت الفائدة من الخطاب.

خاتمة:

وخلاصة ما انتهينا إليه في مقاربتنا هذه الآتي:

1- ليس من العلمية في شيء أن - ندعي فيما عرضنا له من الأفعال المضمرة التي انطوى عليها الخطاب الشعري المستهدف- أننا قد استنفدنا القول في كل الأفعال المضمرة المحتملِ قصدُها، والتي انطوى عليها كلُّ فعلٍ من أفعال القول التي عرضنا لها.

2- قد يوهم تصنيفُ الأفعال الإنجازية، أن ثمة حواجزَ حصينةً، تفصل بشكل حاسم هذه الأفعال بعضها عن بعض، على مستوى "فعل القول" الواحد، مع أن الأمر ليس كذلك، فقد ينجز المتكلم في القول الواحد أكثر من فعل، وتتداخل هذه الأفعال فيما بينها بحيث يتعذر تبَيُّن الحواجزِ الفاصلة بينها في وضوح، ولنذكر على سبيل الإيضاح أننا نجد "الفعل التعبيري" مثلا، حاضرا بقوة بإزاء أو ضمن كل فعل إنجازي، ترجح لدينا أنه مقصودُ الشاعرِ، فيما قدَّرْنا استنادا إلى آليات التأويل وقوانينه الضابطة له.

3- إن الأفعال المضمرة لتتنازع القولَ الواحد، حتى لَيصعبُ على المؤوِّل -لا سيما في الخطاب الشعري -كهذا الذي نحن فيه- الأخذ بأيٍّ منها، وتَبيُّن أيُّها أكثر احتمالا لقصد المتكلم.

4- إنه ليتعذر على المؤول أن يحيط بكل ما يحتمله الخطاب –لا سيما ما كان منه شعرا- من أفعال مضمرة حتى لا يفوتُه منها فائت.

5- ليس بالضرورة أن يكون كلُّ ما تَرجَّح لدى المؤول من الأفعال على أنه مقصودُ المتكلمِ –هو كذلك-، فقد يترجَّحُ لدينا ما لم يَقصِد إليه المتكلم أو يخطر له ببال.

4. قائمة المراجع

أبي فراس الحمداني، رواية أبي عبد الله بن الحسين بن خالويه. (1979). *ديوان أبي فراس الحمداني* ،. دار الطباعة والنشر: بيروت.

أحمد المتوكل. (2010). *الخطاب وخصائص اللغة العربية-دراسة في الوظيفة والبنية والنمط* ، . الجزائر: منشورات الاختلاف.

أحمد المتوكل. (2013). *قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية*. الجزائر: منشورات الاختلاف.

أحمد رضا،. (1958). *معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة*. بيروت، لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة.

الخنساء. (1969). *ديوان الخنساء*، . بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر.

الفخر الرازي. التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي

إليا الحاوي. *فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب*. بيروت-لبنان: دار الثقافة.

امرؤ القيس. *ديوان امرئ القيس*. بيروت: دار صادر.

بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري. (1964). *شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك* . صيدا-بيروت: المكتبة العصرية.

تمام حسان. (1982). *الأصول –دراسة إبيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (نحو، فقه لغة، بلاغة)*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

طه عبد الرحمان. (2006). *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*. الدار البيضاء-المغرب: المركز الثقافي العربي.

علوي حافظ إسماعيل. (2011). *التداوليات علم استعمال اللغة*. إربد الأردن: عالم الكتب الحديث.

عمارة ناصر. (2007). *اللغة والتأويل –مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي*. الجزائر: منشورات الاختلاف.

فان دايك ترجمة عبد القادر قنيني. (2000). *النص والسياق –استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي-* . المغرب: أفريقيا الشرق.

محمد الأمين بن المختار الشنقيطي. *مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة،* . الجزائر: الدار السلفية.

محمد الحسين مليطان. (2014). *نظرية النحو الوظيفي –الأسس والنماذج والمفاهيم-*. الجزائر: منشورات الاختلاف.

محمد العيد آل خليفة. *ديوان محمد العيد آل خليفة*. الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي. (2013). *حاشية الدسوقي على مختصر السعد*. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

السيرة الذاتية للدكتور مشتة مهدي

الدكتور : مشتة مهدي أستاذ محاضر –أ- بقسم اللغة العربية و آدابها جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1، متحصل على شهادة دكتوراه علوم في اللسانيات و اللغة العربية.

للباحث مشاركات علمية في العديد من الملتقيات الوطنية والدولية بالجزائر و خارجها بالإضافة إلى مقالات وطنية و دولية عديدة في مجلات علمية محكمة ، عضو في هيآت علمية: مخابر بحث ،مجلات ومجالس علمية و مناقشات ، عضو استشاري ومساعد تحرير في مجلات وطنية ودولية عديدة داخل الجزائر وخارجها .

السيرة الذاتية للدكتور دحماني عبد الرحمن

الدكتور دحماني عبد الرحمن متحصل على شهادة دكتوراه علوم في اللسانيات و اللغة العربية من جامعة محمد خيضر بسكرة ، له العديد من المقالات العلمية والمؤلفات العلمية التي تهتم باللسانيات التداولية ومشاركات مختلفة في ملتقيات وطنية ودولية